

يقول الحكمة من بقاءه ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسألة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

١٤١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة رجب سنة ١٤١٨ - ٢٥ أكتوبر (١) سنة ١٩٠٠)

العلم والجهل

أمثال للعلم والجهل . سعى بعض عربان مصر بافتتاح المدارس . الانتقاد عليهم ورده .
تعليم الأزهر . ما يحتاجه الأزهر من الإصلاح . ما يحتاجه المدارس الأميرية . ما
يطلب من المدارس الأهلية . مقاصد مؤسسى المدارس فى الغالب . اكل أموال
الفلاحين بالربا الفاحش بسبب الجهل . الجمود على التقاليد والخرافات بسببه . روح
استقلال الفكر فى التعليم الجديد .

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »

« إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ »

العلم خير كله والجهل شر كله فلا ينبغي لليب ان يقول ان الجهل
الكثير خير من العلم القليل الذي لا يفي بحاجة البلاد لان هذا تفضيل
لشر الكثير على الخير القليل . العلم سمادة والجهل شقاوة ولا يختار ناصح
لقومه الشقاوة على السمادة اذا رأى ان ما تطلبه من وسائل الاسعاد ناقصاً
غير تام او رآها تختار غير الاولى منها على ما هو اولى . العلم نور لامع

وضياء ساطع والجهل ظلمات بعضها فوق بعض ولا يقولان بصير ان الظلمة
الحالكة افضل من النور الضئيل وان من فاته القناديل الكهربية فليكسر
المصابيح الزيتية . كما لا وجه له ان يقول ان النور مدموم وضار لان
الاشرار يتمتعون به بما يتقبلون في السيئات ويسرون في خطط الخطيئات
ولولاه لما تم لهم ذلك التمتع فان الذي يذم النور بمثل هذا ويذم العلم بأنه
يكون شاغلاً للأخذين به عن الاعمال والمكاسب ونحو ذلك هو من
يذم الهينين لان من الناس من يسرحها تسريحاً مذموماً محرماً ويذم
الأذنين لانه يسمع بها الفاظ الهجر والفحش ويذم العقل لان من الناس
من يستنبط به المكاييد والحيل لهضم حقوق اخوانه

قام بعض اهل الغيرة من عربان مصر يسمي في انشاء مدرسة او
مدارس لتعليم ابناء قومه فاستنكر هذا الامر بعض الناس وانتقدوه
وذهبوا الى انه يفسد على العربان معيشتهم ويبطل نظامهم ويكون مجلبة
الشقاء والتماسة لهم حتى اضطر المقترح للاعتذار ودفع الالتباس . وتبرئة
النفس من ارادة الشر امام الناس . فيالله ولهذا الانسان ما اغرب
اطواره . واعجب اوطاره . وما ابعده فكره . وافعل سحره . وما اسحر بيانه
واعوى شيطانه . وما اقوى هواه . واضعف هداه . يذم العلم والتعليم .
ويريك انه يهديك الى صراط مستقيم

نقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت فقل في الزناير
مدح وذم وذات الشيء واحدة ان البيان يري الظلماء كالنور
العلم كالعقل والحواس لا تدم بحال . وانما تبين الطريقة المثلى
للاستعمال . ألا ترانا نذقد دائماً طريقة التعليم في الازهر الشريف ولكننا

لا نقول ان عدم الازهر او عدم العلم والتعالم فيه خير من وجوده على ما نعلم في ذلك من المضرات وقد انتقدنا وغيرنا من الكتاب على المدارس الاميرية ونظارة المعارف العمومية كما انتقدنا ومنتقد المدارس الاهلية وتعليمها وتربيتها (ان كان فيها تربية) ولا نعى بشيء من ذلك ان الجهل خير من العلم او ان اهمال التعليم خير من التعليم الناقص ان نريد الاصلاح ما استطعنا فمن يستطيع الكلام قولاً او كتابة يجب عليه ان يتكلم بما يعتقد اصلاحاً والا كان خائفاً لأتمته وماتته وبلاده وعسى ان يفعل من يستطيع الفعل والله الموفق لمن يشاء من عباده

نطلب من مشيخة الازهر اصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب فيخرج لنا في كل سنة من المجاورين المعدودين بالالوف مئات او عشرات من المرشدين والوعاظ والمعلمين للدين والآداب ونطلب ايضاً ملاحظة التربية مع التعليم فان علماء الاجتماع عامة وعلماء البيداجوجيا (التربية والتعليم) خاصة مجمعون على ان التربية هي اقوى الركيز واتفق العنصرين وان السعادة قد تنال بتربية من غير تعليم - غير ما تستلزمه هي - ولكن التعليم وحده لا يعنى غناءها ولا يسد مسدها ولا توجد في الدنيا مدرسة لمة من الملل لا يوجد فيها للتربية اسم ولا مسمى كمدرسة الازهر وعذر مشيخة الازهر في هذا ان الزام طلاب المعلم بالنظافة والادب والنظام في الميشة والسيطرة عليهم في سيرتهم الشخصية امر لم يجر عليه الشيوخ السابقون وتحكم في حريتهم بغير مسوغ شرعى والجواب عنه انه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين بنص الكتاب العزيز وان المعلم قيم شرعى كالوالدين فيطلب منه من التربية ما يطلب من

والوالدين وأنا نرى كثيرين من الشيوخ المدرسين يشتمون المهاجرين ويهينونهم لأمر ليس بذات بال ويتسنى لهم ارشادهم للأدب والفضائل بالبن والهداية من غير تحكم يبيء . على ان هذه الحرية المطلقة هي التي جعلت الازهر عبوة للمعتبرين واستمباراً للمستعبرين (كما استعبر تلك الكوننة الروسية التي جاءت من بلاد روسيا الى مصر لتشهد عن الاسلام واعظم مدارسها العالية - الازهر - فلما دخلت هذه المدرسة الطائفة الصيت لم تملك عبرتها ان تسيل على خدودها حتى خرجت آسفة حزينة)

ونطلب اصراً ثالثاً مهماً وهو ان يكون لطلاب العلم في الازهر العلم بمبادئ العلوم التي عليها مدار المدنية الحاضرة والسعادة الدنيوية فان الاسلام ما جاء الا ليهب الناس السعادتين والفوز بالحسنين وذلك كعلم الاجتماع وعلم حفظ الصحة ومبادئ التاريخ الطبيعي وغير ذلك من الفنون المتداولة بين الناس في هذا العصر وبذلك يستعدون للدعوة الى الدين وحفظه ومخاطبة الناس على قدر عقولهم كما يجب على ورثة الانبياء

ونطلب من نظارة المعارف ان تقرر في المدارس التربية الدينية بالتربية الجسدية والعقلية وان تزيد عنايتها باللغة العربية لكيلا تتلاشى امام اللغة الانكليزية اذا دامت هذه على تقدمها وتلك على تأخرها

ونطلب من المدارس الاهلية ما نطلبه من المدارس الاميرية وزيادة مهمة اذا وجدت كانت هذه المدارس قرة عيون الأمة ومتهى رجاء البلاد وهي اشراب قلوب التلامذة ان ثمره التعليم والتربية ليست محصورة في وظائف الحكومة وانما ثمرتها سعادة الحياة والاستعداد لأتقان اى عمل يتصدى له المتعلم من زراعة وصناعة وتجارة وامارة اذ المطلوب

لا سعاد الأمة ان يتم التعليم والتربية جميع افرادها وتبقى مع ذلك كل طبقة من الطبقات على عملها وكسبها

نرحب بالمدارس الاهلية وثقنى على مؤسسها ونلجج بشكرهم وخدمهم وسخائهم ورفدعم وان كنا نعلم ان منهم من لا يقصد بانشاء المدرسة الا التجارة والكسب ومنهم من يطلب الأحدثوة وحسن الذكر ولا يهمنه بعد ذلك استفاد المتعلمون ما هي الغاية الحقيقية من التربية والتعليم ام لم يستفيدوا لعلنا ان الرياء فطرة الاخلاص وان المتعلم اقرب الى الاصلاح من الجاهل المطلق وان كان هذا محل نظر

أرايتك هذا الفلاح الذى يلعب به المرابون لعب الصيادين بالكرة فيأخذون منه الربا اضغاثاً مضاعفة ثم يشترون قطنه بثمن بخس لو كان متعلماً هذا التسلم الناقص هل كان يتسنى لهم غشه الى هذا الحد ؟؟

أرايتك هذا العايمى الذى افسدت عقله وروحه ونفسه التقاليد الباطلة والحرافات القائلة ولا يفهم لك دليلاً ولا برهاناً . ولا يراجع فى تقليده عقلاً ولا وجداناً . لو تعلم هذا التسلم الناقص الا يستمد بذلك عقله لفهم الدلائل . والتميز بين الحق والباطل . اذا التى اليه ذلك ممن يفهمه . وتصدى لتعليمه اياه من يعلمه . ؟

بلى انه يستمد بهذا التعليم تعليم المدارس لكل هذا ولما هو اعلى منه وذلك ان فيها روح استقلال الفكر ولكن هذا الروح مفقود من الازهر وكل ما فيه من العلم تقليد اعشى لبعض المصنفين من المتأخرين لحسان ان من يفند قول واحد منهم يخرج من الدين او العلم . ولكننا نرى هذا الروح قد رضى عن الازهر وطقق يسرى فيه بالتدريج ونسأل الله التوفيق للكمال .